شعره في هذه الوَقعة :

لم يَمْنَعُوا مِنّا مَقَاماً واحِداً إلا جِدارَهُمُ و بَطْنَ الخَنْدَقِ
و لَقَدْ تعرَّضْنَا لِكَيْمَا يَخْرُجُوا فَتَحَصَّنُوا مِنّا بِبابٍ مُغْلَقِ [١]

فحين عاد بُجير إلى المدينة في صحبة الرّسول ﷺ أخذته صلةُ الرّحِم بأخيه ، فكتب إليه يقول إن النّبيّ ﷺ يهمُّ بقتل كل من يؤذيه من شعراء المشركين ، ودعاه إلى القدوم عليه ؛ لأنه لا يقتل أحداً جاء تائباً ، وإلا فَلْيَمْعِن الهرب والنّجاءَ في الأرض .

ولما جاء كعباً كتابُ أخيه ضاقت به الأرضُ وأَرْجَفَ به أهلُه ، وقالوا إنه مقتول ، وأبتْ قبيلته مُزَيْنَة أن تُؤويه ؛ فقدم المدينة ونصحه رجل كان يعرفه ، بأن يذهب إلى الرّسول فيستأمنه . ثم أتى الرّسول وكان لا يعرفه ، فجلس بين يديه وقاله له : « إن كعب بن زهير أتاك تائبا مسلماً ، فهل أنت قابلٌ منه إن جئتك به ؟» قال : « نعم .» قال : « فأنا كعب .» فوثب رجل من الأنصار طالباً من الرّسول أن يضرب عنقه فكفّه النّبيُّ . وفي هذا المشهد أنشد كعب قصيدته :

بانَتْ سُعادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ إثْرَهَا لم يُجْزَ مَكْبُولُ [٢]

فلمّا فرغ من إنشاد القصيدة كساه الرّسولُ ﷺ بُرْدَةً اشتراها معاوية بعد ذلك من أبنائه بعشرين ألف درهم ، وكان يلبسها هو والخلفاء من بعده في العيدين تَبَرُّكاً بها ؛ ولهذا لُقِّبَتْ القصيدة بالبُرْدَة .

وتقع القصيدة – كما وردت في الدّيوان – في سبعة وخمسين بيتاً [٣] ، وهي تبدأ – على عادة الشّعرِ الجاهلي – بمقدمة غَزَلِيّة في ثلاثة عشر بيتاً ،

---

(١) سيرة ابن هشام ، ج ٢ ، ص ٤٨٧ . (٢) الخبر في مقدمة الديوان ، ص ٤–٥ ، والقصيدة في الديوان ص ٦–٢٥ . بانت : فارقت ، مَتْبول : هالك ، مكبول : مقيد .

(٣) وأضاف أبو زيد القرشي إليها بيتاً واحداً ، فهي عنده في ٥٨ بيتاً ، جمهرة أشعار العرب ، ص ٧٨٨–٨٠٠ .